

- خصائص الدرس النحوي عند علماء المدرسة البصرية :

س/ ماهي خصائص المذهب النحوي في البصرة؟

الجواب :

بدأ النحو بدايات بسيطة هدفها حماية لغة القرآن الكريم من اللحن على يدي أبي الاسود الدؤلي ، وزملائه الآخرين مثل عبد الرحمن بن هرمز ، وميمون الاقرن ، ونصر بن عاصم...الخ من النحاة الآخرين ، وكان نحوهم بسيطاً تميز ببعض الآراء التي تمثل بداية مراحل نشوء النحو ، ووصل النحو الى الحضرمي ، وعيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وسمعوا من العرب ، وقاسوا على المسموع وزادوا في العلل ، والعمل ، والافتراض حتى وصل النحو الى الخليل بن أحمد الذي طور هذه المباحث المذكورة ، واثبتها ، ووضع قوانينها لها ، وتوسع فيها لكي تكون اساساً لكتاب سيبويه ، وعن طريق دراسة نحو هؤلاء العلماء نجد خصائصاً تميز بها النحو البصري ، وهي :

١- اعتمدوا على السماع : وخرج علماء النحو مثل عيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد الى البداية لسماع لغة الاعراب الفصيحة من منشئها الصحيح في بوادي نجد ، وتهامة ، والحجاز ، وما جاور البصرة ، واخذوا المسموع من الشعر والنثر ، وصنفوه الى فصيح ، وغير فصيح ، والفصيح منه ما هو مطرد شائع كثير أي تحديد السماع بشرطين ، هما: المكان : وهو الجزيرة العربية ، والأماكن المذكورة ، ومن قبائل محددة ، وهي تميم ، واسد ، وقيس ، وطيء...الخ من القبائل الفصيحة ، والزمان : وهو الى نهاية القرن الثاني الهجري في المدينة ، والى نهاية القرن الرابع الهجري في البادية .

٢- استعملوا القياس : ووضعوا الاقيسة مثلما في الأمثلة ، والشواهد السابقة لدى العلماء ، وقاسوا على المطرد الشائع الكثير من كلام العرب المسموع ، وهو القرآن الكريم ، والشعر. الخ ، واخذ البصريون اللغة من الفصحاء ، واعتمدوا عليها في دراسة الغريب ، والاعراب ، والتصريف ، واما الشعر ، فاحتجوا بأشعار الطبقات الثلاث حسب تقسيم ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة) ، وهذه الطبقات هي: الأولى : طبقة

الشعراء الجاهلين ، والثانية : طبقة الشعراء المخضرمين ، والثالثة : طبقة الشعراء المتقدمين في الاسلام كجرير. والفرزدق. الاخطل ، ومن عاصرهم ، والاحتجاج وقف عند البصريين عند الشاعر ابن هرمة ووضع البصريون اقيستهم على شعر هذه الطبقات الثلاث .

٣- وقفوا من القرآن الكريم وقراءاته موقفا مدافعا عما يرد في الكتاب العظيم ، فقاسوا على آياته ما أجازوا من القواعد ، واجازوا ما جاء في قراءاته المتواترة ، ولم يصدر عنهم طعن في قراءة أو تخطئة القراء شاذة كانت قراءته أم غير شاذة مثلما قسمها أبو بكر بن مجاهد.

س : ما موقف النحاة من القراءات القرآنية ؟

ج: لم يخطئ البصريون القراءات القرآنية مثل سيبويه ، والخليل بن أحمد ، وقلة هم الذين خطأوا القراءات مثل المبرد في بعض القراءات ، وليس كلها ، وليس في كتاب سيبويه طعن للقراءات لا هو ، ولا شيخه الخليل ، ولا معظم البصريين المتقدمين ، وأما الكوفيون ، فهم أول من خطأ القراءات ، وعلى رأسهم الكسائي ، والفراء في كتابه (معاني القرآن) الذي يمثل معظم آراء الكوفيين ، وتبع بعض النحويين الكوفيين مثل المبرد ، والمازني ، وابن جني الذين اقتدوا بالكسائي . والفراء.

س: ما موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف؟

ج: لم يرد في كتب النحاة الأوائل من بصريين وكوفيين الاستشهاد بالحديث الشريف ، ولم يعتمدوا عليه في استنباط أو اثبات أي ظاهرة يؤخذ بها ، ويقاس عليها مما خالف منه قاعدة في كتاب أو اثبات ظاهرة ، وكان أبو الحسن الصائغ (ت ٦٩٠ هـ) هو أول من نبه على ان ابن الخروف قد احتج بالحديث ، وخالف بذلك سنة النحاة السابقين ثم جاء أبو حيان ، ولاحظ مبالغة ابن مالك في اعتماده على بناء الاقيسة ، والقواعد فرد عليه ، وعلل هذا الرد بان الحديث :

أ - روي بالمعنى وليس باللفظ .

ب - ان اكثر رواته من الاعاجم من غير العرب وما يزال الباحثون مختلفين في الاسباب التي دعت الى ابعاد الحديث عن مجال الاحتجاج وكل منهم يعلل بعله يراها ويقترح رأيا يعرضه ، ويدافع عنه ، وللاطلاع اكثر (يراجع كتاب)(موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف) للدكتور خديجة الحديثي .

٤ - عد البصريون السماع هو الأصل الأول الذي تعتمد عليه كل الأصول ، وأولها القياس ، وإذا تعارض السماع ، والقياس ، فالرجوع للسماع أولى .

٥ - لجؤا إلى التفسير والتأويل والتقدير والافتراض والتعليل لإثبات صحة القواعد النحوية الخارجية عن القياس ، واخترعوا العلل لإثبات هذه الأحكام والمحافظة على رسوخ هذه القواعد مثلما في تسمية الزجاج للعللة التعليمية (العللة الأولى).